مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٦٩ . العدد ٩٨ .

فنيات السرد الروائي

في يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم"

الدكتورة / زهرة "وانج رونج" – Wang Rong

دكتوراه الأدب العربي

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الملخص باللغة العربية:

توفيق الحكيم (١٨٩٨م – ١٩٨٧م) ، أديب مصري كبير، وكانت له مكانة رفيعة وتأثير عميق في الأدب العربي، وحتى في الأدب العالمى أيضاً.

وإن رواية "يوميات نائب في الأرياف" قد نالت شهرة كبيرة. بجانب قيمتها الأدبية باعتبارها طرازاً فريداً من السيرة الذاتية لشخصية أدبية قل أن يجود الزمان بمثلها، وكذلك صدق وعذوبة أسلوبه.

يُعدُّ توفيق الحكيم أول من أدخل "أدب اليوميات" إلى دنيا الرواية العربية، في هذه الرواية.

إذ ينقد فيها المظاهر الإجتماعية في الريف المصرى، ويكتب عن ذلك في صورة يوميات. وتقدم الرواية مقارنة خفية بين أوروبا ونظمها ومدنيتها، وما كان يدور في ريف مصر في تلك الفترة.

ويقدم البحث دراسة فنية للسرد الروائي؛ الشخصيات– الأحداث – المكان والزمان، السرد والحوار، النجوى أو المونولوج الداخلي، الوصف، التشبيه – التكرار.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Tawfiq al–Hakim (1898 – 1987), a great Egyptian writer, and had a high status and profound influence in Arabic literature, and even in international literature as well.

The novel "The Diary of a Deputy in the Countryside" has gained fame. Besides its literary value as a unique style of autobiography of a literary figure, say that time exists with its ideals, as well as the sincerity and sweetness of his style.

Tawfiq al–Hakim was the first to introduce the "Diary Literature" into the world of the Arabic novel, in this novel.

It criticizes the social aspects of the Egyptian countryside, and writes about it in the form of a diary. The novel offers a subtle comparison between Europe, its systems and its cities, and what was going on in the countryside of Egypt at the time.

The research presents a technical study of narrative narrative; characters – events – space and time, narration and dialogue, Najwa or monologue internal, description, analogy – repetition.

توفيق الحكيم وقصصه:

وُلد توفيق الحكيم في الإسكندرية في سنة ١٨٩٨م . قال **الأستاذ إسماعيل أحمد إبراهيم**: "كان ذلك في مستهل القرن العشرين، والمجتمع المصري قد أخذ في النهوض، ينفض عن نفسه غبار الجمود، ويعمل على محاربة الظلم والاستعباد، وقد استفاضت المظالم في أرجاء البلاد واستفحلت الخطوب في مختلف بلدان القطر"[١].

في هذه المرحلة التى كان يعيش فيها توفيق الحكيم، كانت مصر في مرحلتها الانتقالية من العصر الفاسد إلى النهضة الحديثة. وكان في مصر تياران: عربى وغربى، أو قل المحافظة على التراث أوالتقليد للقديم، والدعوة للحرية.

كان ذلك في مستهل القرن العشرين، والمجتمع المصرى آخذ في النهوض، ينفض عن نفسه غبار الجمود، ويعمل على محاربة الظلم والاستعباد، وقد أستفاضت المظالم في أرجاء البلاد واستفحلت الخطوب في مختلف بلدان القطر، وكانت الدعوة للحرية قد أنتهت إلى مصر في القرن التاسع عشر بمثاليات الثورة الفرنسية، فنشأ تحت تأثير هذه العوامل جيل جديد من المصريين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، هذا الجيل أوقف نفسه لتحرير المجتمع المصري، وكانت القلوب تجيش بعواطف العداء نحو عنصر الحكام من المنحدرين من أصول شركسية أو تركية[٢].

وقضت أيامها الأولى مع الطفل بين هؤلاء الفلاحين في الدلنجات، فكانت تعزله عنهم وعن أترابه من الأطفال، وتسد بكل حيلة أى طريق يصله بهم. ولعل ذلك ما جعله يستدير
إلى عالمه العقلى الداخلى، إذ كانت تغلق في وجهه كل الأبواب التي تصله بالعالم الخارجى.

ولما بلغ السابعة من عمره ألحقه أبوه بمدرسة دمنهور الابتدائية، وظل بها ردحًا من الزمن، حاول فيه أن يحرر نفسه من وثاق أمه وحياة الانفراد التي أخذته بها، ولكنه لم يستطع إلا في حدود ضيقة.

ولما أتم تعليمه الابتدائى رأى أبوه أن يرسله إلى القاهرة ليلتحق بإحدى المدرس الثانوية، وكان له بها عمّان يشتغل أحدهما مدرسًا بإحدى المدارس الابتدائية، أما الثانى فكان طالبًا بمدرسة الهندسة، وكانت تقيم معهما أخت لهما. فرأى أبوه أن يسكن مع عميه وعمته، ليساعدوه على التفرغ الدرس، وأتاح له بعده عن أمه شيئاً من الحرية، فأخذ يعنى بالموسيقى والتوقيع على العود.

---

[١] أدباء معاصرون، إسماعيل أحمد إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥م، ص ١٩١.

[٢] عباس العقاد ، سعد زغلول، القاهرة، ١٩٣٦م، ص ٤٦-٤٧.

وإذا كان الفتى المراهق قد عُنى بالموسيقى فإنه أخذ يعنى بالتمثيل والاختلاف إلى فرقه المختلفة، وفي هذه الأثناء أتم تعليمه الثانوى والتحق بمدرسة الحقوق، وكانت مواهبه الأدبية قد أخذت تستيقظ في قلبه وعقله.

وبسبب الوضع الاجتماعي المعقد، وتأثرات تجارب حياة توفيق الحكيم المبكرة، كان تزود توفيق بالغذاء الفكري في سن مبكرة يؤتي غرسه في نفسه مع مرور كل سنة. وهذه الخبرات المبكرة تقدم المشاعر في إبداع رواياته ومسرحياته، حتى أصبح توفيق الأديب المعروف.

ولا يُعد **توفيق الحكيم** كاتب مسرح فقط، ولكنه مع ذلك قد أسهم في فن القصة العربية بثلاث من قصصه الجيدة، وهي "**عودة الروح**"، "**يوميات نائب في الأرياف**"، و"**الرباط المقدس**".

وتتناول هذه القصص جوانب من توفيق الحكيم نفسه، كما تصور جوانب من الحياة المصرية في الريف والقاهرة، في مرحلة زمنية معينة. هي ما بين الحربين العالميتين على وجه التحديد أو ما بين سنة ١٩٢٣م ، سنة ١٩٣٩م .

وقد ضمنها جميعاً قطاعات من تاريخ حياته، أو ترجمته الذاتية سواء في حياة الأسرة، أو حياته الوظيفية، أو حياته العاطفية.

إن "يوميات نائب في الأرياف" هي القصة الثانية من قصص توفيق الحكيم الإجتماعية الواقعية. إذ يكتبها على شكل يوميات، أو مذكرات لنائب أو وكيل نيابة. ولكن هذه اليوميات مترابطة مع ذلك متصلة الأوصال. إذ يربط الكاتب بينها قصة داخلية، كان يتابعها التحقيق، هى قصة " **ريم حسناء القرية الغامضة، والمجذوب**" ... ومقتل غامض، أو حادثة قتل غامضة. وينتقل الحكيم في هذه القصة من مثاليته في "عودة الروح" إلى واقعية الحياة، وحياة الجريمة في الريف المصري، والدوافع إليها.

وفي هذه الرواية، هناك ما يوحى بوحدة الهوية بين السارد المستعمل لضمير المتكلم وشخصية وكيل النيابة، وشخصية توفيق الحكيم، الذي تولى هذه الوظيفة فترة زمنية في مدينة طنطا ومدينة دسوق. ورغم أن العنوان يشير إلى "**يوميات نائب في الأرياف**" فإن القراءة تكشف شيئا آخر، إذ لا يقتصر الأمر، كما في جنس اليوميات، على تسجيل بعض الوقائع باقتضاب وبحسب أهميتها، بل إن البناء العام للنص، وعلى امتداد اثنى عشر يوماً، يهتم بوصف التفاصيل والفضاءات ورسم ملامح الشخوص، ونقل عينات من كلامهم وحواراتهم. كل ذلك يجعل النص أقرب ما يكون إلى بناء روائى، له حبكة تنتظم السرد والأفعال، وقصص تتضافر، رغم اختلافها، من خلال رؤية السارد وترتيبه للحكى.

ويعلن الكاتب في مستهل الكتاب، أنه يريد أن يتحدث عن الجريمة، وعن علاقته بها وبمن عايشهم في الريف، وهو إذ يكتب ذلك في يوميات، فلأنها "**لن تنشر**" ، وستكون كتابتها فقط للتنفيس عن ضيقه : " لماذا أدون حياتي في يوميات؟ ألأنها حياة هنيئة ؟ كلا! إن صاحب الحياة الهنيئة لا يدونها، إنما يحياها. ويقول : " إني أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة. إنها رفيقي وزوجي أطالع وجهها في كل يوم، ولا أستطيع أن أحادثها على انفراد. هنا في هذه اليوميات أملك الكلام عنها، وعن نفسي، وعن الكائنات جميعًا. أيتها الصفحات التي لن تنشر! ما أنت إلا نافذة مفتوحة أطلق منها حريتي في ساعات الضيق!"[٣].

إن هذه الإشارة الموازية للنص، لا يمكن أن تحجب الطابع التخييلي الذي يتخلل النص ويلحمه، وذلك رغم توظيف الكاتب لعناصر سير ذاتية، ووصفه لأجواء وأحداث واقعية. ونستدل على هذه الملاحظة بأن النص يتجه أكثر إلى وصف الحالة النفسية والذهنية لكاتب اليوميات، وإبراز ردود فعله أمام المواقف التي يوجد فيها أو يشاهدها ... ومن ثم فإن النص، ورغم أنه يبدو بمثابة نسيج مرقع، يضم شخوصاً وأحداثاً متباينة، إلا أنه يكتسب وحدة شبه متجانسة، مصدرها تلك الرؤية التخييلية، التي يسلكها الكاتب في السرد والوصف والتعليق، وداخلها تأخذ ذاته مكانة أساسية.

إن **أساس التخييل الذاتي** في "يوميات نائب في الأرياف" هو حرص الكاتب على أن يجعل من ذاته الكامنة، وراء وكيل النيابة ذاتاً مفرغة من هويتها المألوفة، مفصولة عن خصائصها المتصلة بحب الثقافة والموسيقى والجمال.

وفي "**يوميات نائب في الأرياف**" يكتشف توفيق الحكيم عالم الحقيقة الأرضية، بعد أن انجذب طويلاً إلى عالم الخيال والمجردات. ومعايشته للجريمة وللسلوكيات الغرائزية، التي أرعبت كيانه، لأنه بدأ يحس بتلاشي المشاعر والقيم، جراء تلاشي الرمز الذي يضفي صفة الإنسانية على الأشخاص، ويحدد قيمًا إيجابية للعلائق والأشياء.

إن الحكيم في هذه اليوميات، كأنما يستكمل تخييله الذاتي من خلال استيحاء الأجواء المغايرة لفضاءات القاهرة وباريس، والمعاكسة لأحلام المثقف ، الفنان، المتطلع إلى الإبداع والجمال. على صورة الذات كما تطالعنا في روايات الحكيم الأخرى، تقدم "**يوميات نائب في الأرياف**" ذاتاً تجابه بشاعة الواقع، وتشخص المواقف والمشاعر بدون تجريدٍ أوصباغ. ذلك أن كُلُوح الواقع،هنا، يبطل التطلعات المثالية، ويكاد يشل التعلق بسماوات الروح ورموزها .

---

[٣] يوميات نائب فى الأرياف، توفيق الحكيم، دار مصر للطباعة ، ٢٠١٤م، ص١١.

وتعرض الرواية جانباً من حياة المؤلف في النيابة، ويعرض بالنقد لأحوال الفلاحين، والمفارقة بين ظروفهم الإجتماعية والقانون المطبق عليهم، بينما هو غريب عنهم، وبين حاجتهم الماسة إلى الإصلاح والتعليم، لينقذهم مما هم فيه، من تأخر مادى مع حسن استعدادهم، وحياة قلوبهم وأرواحهم.

وينقد أحوال رجال الإدارة والقضاء – في ذلك الوقت – فيكشف ما ينغمسون فيه من المفاسد، والانحلال الأخلاقى، والسلوكى والتهاون في شئون الوظائف، كانغماسهم في الرشاوى، واستهتارهم بالناس، واستغلالهم للسلطة.

والحكيم في هذه اليوميات أديب صاحب ملكة مصورة، وذوق حساس دقيق، يلتقط من الحياة اليومية ما يمر به من تجارب، بصورها المعبرة، ولقطات التي

تنم عن الموقف، وتعبر أدق وتعبير دقيق. وهو في صوره هذه فنان، يحسن اختيار ألوانه، ويجيد رسم خطوطه.

ويحسن الحكيم كعادته استخدام الحوار الفصيح الممتزج بالعامية، أو بالعامية الخالصة إذا اقتضى الموقف.

ولا يعدم **روح الفكاهة** فهى تلازمه دائمًا، وهى فكاهة تتلون بالسخرية المرة والنقد أحيانًا، بحيث تعرّى من يعرض له وتفضحه أمام القارئ.

وحرص الحكيم على تصوير المأمور، في صور المهرج. ولنستمع إليه يحكى موقف المأمور من العمدة وقد طلب إعداد الإفكار.

قال الحكيم: < وأردت أن أختم محضرى، وإذا بى أرى حركة نصب مائدة، وإعداد طعام، وحضرة المأمور قائمًا قاعدًا ينظر في الخوان، ويدخل ويخرج دون أن أعلم ما يشغله من الأمر، وأخيرًا سمعته يقول للعمدة في ناحية:

– إسمع يا عمدة .. البك الوكيل لا يحب الخرفان على الصبح، ولا الديوك ولا حاجة أبدًا، ولكن لا بأس من كام زغلولة مدفونة في الأرز، والقراقيش إياها، والفطير المشلتت: وإن كان عليه كام كتكوت محمر مفيش ضرر، واللبن الرايب طبعًا شيء مفيد للصحة. ولا بأس من كم بيضة مقلية في القشدة، كفاية، إياك يا عمدة تعمل حاجة زيادة، البك الوكيل أكلته ضعيفة، إن كان عندك عسل نحل بشمعه لا بأس.

قرصين جبنة ضانى لا مانع، طبق كعك وغريبة ... الغرض حاجات خفيفة لطيفة، وأنت سيد العارفين>[٤].

وهكذا .... فاليوميات صورة متتابعة من حياة الجريمة في الريف، ومحاولة من المؤلف لعرض أحوال الفلاحين في صور مختلفة من تعاقب الظلم والتخلف عليهم. وفيها نقد لعاداتهم، وبيان لحاجتهم الماسة إلى الإصلاح والتعليم، حتى يخرجوا من ظلماتهم، إلى نور الحياة الكريمة. ويصور الحكومة مشغولة عنهم بالأحزاب والانتخابات.

- الشخصيات فى الرواية:

<تعد الشخصية بمثابة العمود الفقرى للقصة، أو هى المشجب الذي تعلق عليه كل تفاصيل العناصر الأخرى، لذلك قيل "القصة عن الشخصية"، أى: هى ذلك النوع الأدبى الذي يخلق شخصيات مقنعة – فنياً – بدورها داخل عالم القصة، وهى في كل ما تقوم به من أفعال وأقوال يجب أن تكون ممكنة الحدوث أو التماثل، مع واقع الحياة اليومية، التي يحياها البشر بالفعل >[٥].

إن رواية "**يوميات نائب في الأرياف**" تتميز بعدد هائل من الشخصيات، رجالاً ونساءً، وكباراً وصغاراً، وقد التقط الكاتب شخصياته من واقع الحياة، بعيداً عن الاتصال بعالم التجربة الذهنية والمثالية، ولهذا أعطى أفعال شخصياته وأقوالها ملامح الإنسان العادى، وجعلها تتماثل مع واقع الحياة اليومية ولا تتخطى إطاره.

وتدرس شخصيات القصة من زوايا مختلفة. فهى تنقسم إلى أقسام منها: الأصلية والفرعية. الملتزمة بالقيم وغير الملتزمة بها، الديناميكية وغير الديناميكية، الوضعية والتقليدية، التمثيلية أو النوعية، البسيطة والمعقدة، الثابتة والموسعة، وما إلى ذلك[٦].

وفي الرواية أكثر من عشر شخصيات، تنقسم إلي أربعة أجزاء: **الراوي، رجال الحكومة، العنصر النسائى، الفلاحون**. ومنهم:

١- وكيل النائب ٢- المأمور ٣- مساعد النيابة ٤- الرئيس النيابة ٥- ريم

٦- ست هندية الداية ٧- الشيخ عصفور ٨ - قمر الدولة علوان

---

[٤] يوميات نائب فى الأرياف، توفيق الحكيم، ص ٣٨.

[٥] دراسات فى نقد الرواية المعاصرة ، د. طه وادي، دار المعارف، ١٩٩٤م، ص ٢٥.

[٦] عناصر داستان، جمال مير صادقي، ط٥، طهران، ٢٠٠٦م، ص ٨٣-١١٤.

فهؤلاء هم الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية، وكل الأحداث تدور حولهم، ولكل منهم دور خاص في الرواية.

وقد رسم الكاتب شخصيات روايته بطريقة تمثيلية في كثير من الأحيان، أى أنه قد رسم الشخصيات من الناحية الداخلية والخارجية. وفي الواقع إن الكاتب قد رسم ملامح شخصياته بتصوير ردات أفعالها تجاه الأحداث معتمدًا على الحوار، والنجوى الداخلية تارة، والوصف تارة أخرى.

– وإن كل أحداث الرواية، وأيضاً الشخصيات ودورهم، وما سرد الكاتب، كان من أرض الواقع والحقيقة. لأنه كان في الواقع وكيل النائب في إحدى الأرياف بمدينة طنطا، وأنه كتب واقع حياته في هذه المدينة وأريافها.

ـ ونقف عند أهم شخصيات الرواية :

شخصية وكيل النيابة :

إن بطل الرواية هو وكيل النيابة، وإنه من الشخصيات الأساسية والمحورية لهذه الرواية، وتدور أحداث الشخصيات الأخرى حوله كثيراً. فهو رجل يعمل كوكيل نائب في وزارة الحقانية، وأُرسل إلى إحدى الأرياف. وإنه قد كتب ما حدث له خلال اثنى عشر يومًا في الريف. ودوره هام في اتصال الأحداث بعضهم ببعض، هو نائب مفكر، بارع، ذو ملاحظة، رقيق الإحساس ودفيق العمل ومن أصحاب الهمم، خصوصًا في الشكاوى الإدارية وسرعة التصرف فيها، كما يشير نفسه إلى هذا الموضوع قائلا:

<فأشار إلى النافذة، فإذا النهار يدخل منها متلصصًا، وقد خدعنى عنه المصباح المضىء. فاستويت على قدمى إذا ذكرت للفور أن جلسة الجنح اليوم، وقد فاتنى أن أدبر الأمر من الليل، حتى يخلفنى فيها نائب من الزملاء، فلا مفر لى إذن من العودة العاجلة حتى أحضر الجلسة في الميعاد>[٧].

وفي مستهل الرواية نشاهد نائباً أصيب بالتهاب الحلق، ويقضي كل ليلة لمحاكمة في القضايا ، وعنده قضايا أخرى في الصباح.

يقول : <استيقظت اليوم متأخراً. فقد سهرت أكثر الليل في التهام الأوراق المتأخرة. إذ بعد أسبوع تبدأ السنة القضائية الجديدة. ومعنى هذا أنه لا ينبغى أن تبقى عندى قضية واحدة، لم يتم التصرف فيها من قضايا العام المنصرم. ومعنى هذا أيضًا أنه يجب أن أحبس نفسى طول هذا الأسبوع، حتى أنظر في

[٧] يوميات نائب فى الأرياف، توفيق الحكيم، ص٢٠.

المتأخر من أكداس "الشكاوى" التي فاضت بها خزائني.. آه من هذه الشكاوى! إنها أكثر عدداً من ذلك "البَق" الزاحف جيوشاً على حائط دار النيابة الرطب المتهدم!

ويظهر أن حضور جلسات المحاكم وضبط قضايا التلبس في النهار، وقيد وارد الجُنَح والمخالفات في المساء، والانتقال ليحقق وقائع الجنايات بالليل، كل هذا لا يكفي وكيل النيابة في الأرياف. فهو ما زال يجد وقتاً يتنفس فيه ... فلتسد عليه إذن مسالك الهواء بأكوام الأوراق التافهة، الآتية من المركز باسم "الشكاوى" و"العوارض" و"الأحوال" ....

لابد إذن من العمل المضنى حتى تختم السنة القضائية على خير، وقد أمرت بإغلاق أبوابى علىّ حتى أنفرد لهذه الملفات أتصرف فيها باليمين وبالشمال، ومضيت أعمل وأنا أقول: "خد من التل يختل"! ولكن الذي وضع وضع هذا المثل كان يقصد بالتل النقود والذهب. أما أوراقى "الشكاوى" فهى تل حائم النمو، لا يختل ولا يزول...

لعنت ذلك ولعنت الضيف ولعنت نفسى إذ أن لى حقيقة من سوء حظى صيتاً بين زملائى... بأنى من أصحاب الهمم، خصوصاً في الشكاوى الإدارية وسرعة التصرف فيها. وقد نقل عنى الكثير من إخوانى أعضاء النيابة طريقتى في قراءة الشكاوى.فهم يقولون إنى أقرأ الشكوى من آخرها لا من أولها وهذا صحيح، فأنا لست مجنونا حتى أقرأ الأوراق من أولها كما يقرأ الناس والعقلاء! وأنا عادة أنظر في الحال إلى السطر الأخير ففيه لب الموضوع >[٨].

ما كان يحب أن يذهب إلى النادى، كرجال المركز والمأمور وهذا الأمر، ما كان سببه كثرة أعماله بل هو يعتقد أن شأن النيابة أجل من الذهاب إلى الملاهى كما يقول: < لقد قلت لمساعدي إنى "**شخصيًا**" أفضّل أن يكون عضو النيابة بعيداً عن كل هذا إذا كان يريد أن يبجله الجميع>[٩].

إن **شخصية وكيل النيابة ممزوجة بالعاطفة والخيال والتفكر**، وهو يعتقد أن الجمال مقترن بالفضيلة. والجدير بالذكر، أن شخصيته ثابتة في الرواية ولا تتغير من البدء حتي النهاية.

الحدث فى الرواية:

<هو حدث واحد أو جملة أحداث متشابكة مترابطة، يسوقها الكاتب بفنية عالية، وصولاً بها إلى هدفه أو إلى فكرته، التى يريد أن يضعها فيعرفها القارئ >[١٠].

---

[٨] المرجع السابق ، ص ١٣٣-١٢٧.

[٩] السابق ، ص ٤٥.

[١٠] المفيد فى الأدب العربي، أحمد أبو حاقة، ٢٠٠٠م ، ص ٣٦٣.

إن الحكيم جعل روايته نموذجاً للواقعية النقدية، فطبيعى أن الأحداث فيها لوحات مرسومة على شكل واقع الحياة.

وفي رواية "**يوميات نائب في الأرياف**" أحداث كثيرة، ولكن في البداية نحن نقوم بذكر الأحداث الرئيسية التى لها دور واسع في هذه الرواية، وفي النهاية سنتكلم عن الأحداث الأخرى الثانوية، التى ليس لها دور خاص في الرواية.

- الأحداث الرئيسية فى رواية يوميات نائب فى الأرياف.

١-إطلاق عيار نارى على قمر الدولة علوان.

٢-إختفاء ريم من يد رجال البوليس.

٣- إرسال بلاغ مجهول من النائب العمومى .

٤- وفاة قمر الدولة علوان .

٥- وفاة ريم .

الأحداث الثانوية فى رواية يوميات نائب فى الأرياف

١- حادثة عضة، متهمة عجوز "أم السعد" عضت إصبع الشيخ حسن عمارة. بسبب جدال بين أهل الزوج والزوجة في دفع المهر.

٢- حادثة شجار بالهراوات وقع بين والد "ست أبوها"، وبين أهل الزوج "السيد حريشة"، فلقد تم الزواج بين الطرفين آخر الأمر.

٣- حادثة سرقة وابورغاز بناره أمام حانوت في القرية.

٤- حادثة سقوط كيس كبير بمختلف الملابس والأحذية من السيارة، التى تجتاز على جسر الترعة في الريف.

٥- حادثة شجار بين القاضى الشرعى والأجزجى.

٦- <وقوع حادثة التسمم في دائرة المركز، فهـــى امرأة تناولت من مطلقها فطيرة، فظهرت عليها الأعراض، وهى تتهمه بسمّها للتخلص من النفقة الشرعية>[١١].

٧- الحوادث التى ترتبط بإعطاء الأصوات في الانتخابات في الأرياف.

[١١] يوميات نائب فى الأرياف، توفيق الحكيم، ص ١١١.

– وأخيراً نذكر أن **كل الحوادث التي وردت في الرواية حقيقية**، لأنها مستمدة من واقع حياة الكاتب، وأيضاً كل هذه الرواية حقيقية، لأنها يوميات الكاتب الفنان "توفيق الحكيم".

بيئة الرواية:

<البيئة هى المكان أو الزمان الذى تجرى فيه أحداث القصص. فاختيار المكان لحوادث القصة هو اختيار مناسب يقرب القصة من الواقعية تصديقاً >[١٢] .

المكان:

إن توفيق الحكيم في "**يوميات نائب في الأرياف**" أخذ الزمان والمكان بعين الاعتبار. فإنهما عنصران يورثان الغنى في البناء الفني للرواية، حيث يمكنهما أن يعطيا دلالات متنوعة كثيرة، تزيد الحدث القصصي منطقاً ومعقولية.

أما **المكان** الذى تدور فيه الأحداث والشخصيات، في رواية يوميات نائب في الأرياف، فهى ناحية من بلاد الوجه القبلى في مصر، والأمكنة الموجودة فيها هى:

1. المحكمة القضائية ٢. دار النيابة 3. دار المركز ٤. المستشفي الأميرى 5. المحكمة الشرعية
6. محطة السكة الحديدية 7. النادى.

وتكون في أطراف هذه الأرياف مزارع القصب والفلاحون مشغولون بالزراعة. وتقام الأسواق الأسبوعية في الأرياف، كسوق الخميس، وسوق السبت. وقد وصف الكاتب البيئة هكذا:

<إنه الآن لا يكاد يرى غير مبانٍ قليلة أكثرها متهدم. وغير هذه "**الجحور**" المسقفة بحطب القطن والذرة، يأوى إليها الفلاحون. إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماء وفضلات من البهائم، وفي تكدسها وتجمعها "**كفوراً**" وً"**عزبا**" مبعثرة على بسيط المزارع، لكنها هى نفسها قطعان من الماشية مرسلة في الغيطان. هى كل ما تقع العين عليه في هذه البقاع. ويزيد على كربه هذا السكون الذي يهبط على البلدة منذ الغروب>[١٣] .

هذا تصوير من الناحية الخارجية التي رسمها الكاتب، وأما إذا أردنا أن نرسم من الناحية الداخلية بيئة الرواية، فإنها الوجه القبلي في مصر الذي كان مملوءً بالجرائم والجنايات.

---

[١٢] عناصر داستان ، جمال مير صادقي، ط٥، طهران، سخن ، ص ١٩٢.

[١٣] يوميات نائب فى الأرياف ، توفيق الحكيم، ص ٤٤.

والجدير بالذكر أن الجرائم التى حدثت في هذه البلاد هى جرائم البداوة وليست جرائم الحضارة.

ويؤكد الكتاب على هذا الموضوع في إحدى نجواه الداخلية:<يخيل إلى أن الشكاوى لاتنزل على رأسى كالوابل إلا أيام الأسواق. كأن الفلاح إنما يخرج إلى سوق الخميس من كل أسبوع يبيع كيلة ذرة ليشترى قليلاً من السكر والشاى، ويملأ زجاجة "**السيرج**"، ويستكتب أحد الكتبة العمومية "**بلاغاً**" أو "**عريضة** " ضد مأذون الناحية أو العمدة أو وكيل شيخ الخفر... ولعل هذا أصبح بنداً ثابتاً في ميزانية كل خارج إلى السوق من هؤلاء الفلاحين>[١٤] .كما أن توفيق الحكيم يصف "**دوار**" العمدة بقوله:

<وجلسنا في "**المنظرة**" على فرش من قطيفـــــة ذهب وبرها ولونها، ووضع الكاتب أوراقه على خوان أعرج، تعلوه رخامة مكسورة، ونشر المحضر "**تحت**" مصباح كبير له دوى، وطنين، قد جمع حوله هوام الليل>[١٥] .

فهذا الوصف من جانب الحكيم يوحي بظلالاته إلى تسرب الحرمان والظلم حتي إلى الأشياء البسيطة. كما أن وصفة للمباني الريفية بالتهدم وبكونها جحوراً، وبأن ساكنيها إنما هم ديدان ينبئ عن حرمان الشعب المصري في ذلك العصر من مصالحهم الاقتصادية والثقافية، وخواء ضميرهم من أي هتاف يحمل حركة تحررية يعللون بها أنفسهم.

ويورد المؤلف بعض المخالفات والجنح والجرائم خلال هذه الرواية.

وإنما كثرة هذه الجـــرائم والجنايات توثر في إزدحام المحاكم القضائية كما يصف وكيل النيابة:

<وقد ملأوا المقاعد "والدكك" وفاض فيضهم على الأرض

والممرات... فجلسوا القرفصاء كأنهم الماشية، يرفعون عيونهم الخاشعة إلى القاضـــــى، وهو ينطق الحكم كأنه راع في يديه عصا>[١٦].

الزمان في الرواية:

إن الزمن في "**يوميات نائب في الأرياف**" على قسمين: زمن تاريخي رتيب، وزمن نفسي مستدير أو متقطع.

والملاحظ أن الحكيم اختار لسير أحداث روايته زمناً رتيباً متواصلاً، ولكنه زمن محدود ومعدود.

---

[١٤] يوميات نائب في الأرياف ، توفيق الحكيم، ص ١٢٣.

[١٥] المرجع السابق ، ص ١٢.

[١٦] السابق، ص ٢٥.

إذ عوض امتداد عرض القضية بامتداد المرحلة الزمنية، فهو يبدأ وينتهى خلال اثنى عشر يوما من شهر أكتوبر، لأن توفيق الحكيم، كتب هذه الرواية في اثنى عشر يومًا، كأنها تشير إلى شهور السنة.

ولعل هذه المسألة على أن الرواية ليس زمنها في هذه الأيام المحدودة فقط بل زمنها الممتد تاريخياً، وكما نشاهد وضع في صدر كل يوم علامة (...) ولعل هذه العلامة ترمز إلى عدم التحديد والتعيين للزمن، في رواية يوميات نائب في الأرياف، وربما لإنها ترتبط بحياة الناس في كل الدهر.

حيث إن الأحداث فيها تبدأ بالحادي عشر من أكتوبر، وتنتهي بالثالث والعشرين منه، وإن حجم الجنح و المخالفات في هذه الوحدات الزمنية القليلة، قد بلغ إلي درجة لايمكن أن نقبله، إلا بشيء من المبالغة والإغراق.

ويلاحظ أن **وحدات زمنيـــة صغيرة** تدخل تحت هذا الزمن المتواصل الذي تتحرك فيه الخطوط العريضــة للروايــة. ومنها **الليل**، فإن الحكيم اختاره لحادث قتل "قمر الدولــة" ، ولوضع المســمار الحديدي من جانب بعض أهالي الريف علي شريط القطار، ولازدياد كرب الريف، ولعقد الاجتماع من جانب المأمور للعبه القمار، و لملاقاه الشيخ عصفور والفتاه "**ريم**" – علي ما رواه الراوي.

وقد وفق الحكيم في اختياره الليل، لأنه يوحي بظلالات فكرية متمثلة في الظلام المسيطر على الظروف الاجتماعية في المجتمع المصري، ومن الطبيعي أن الزمن المواتي لحياكة المؤامرات والنيل من الخصوم، إنما هو الليل، حيث قد يكون من أشد الأعوان للأعداء.

– كما اختار لقتل "قمر الدولة" **زمن ارتفاع الذرة**، ويشير الحكيم إلى هذا، فيقول:

<ولا عجب، فإن لكل نوع من الزرع محصوله من الجرائم: فمع ارتفاع الذرة والقصب يبدأ موسم، القتل بالعيار، ومع اصفرار القمح والشعير يظهر الحريق "**بالجاز والقوالح**" ومع اخضرار القطن يكثر "**التقليع والإتلاف**"> [١٧].

– واختار **أزمنة مختلفة للإشارات التليفونية** التي كان يتسلمها. فكانت تأتيه تلك الإشارات في مستهل الليلة، وفي منتصفها، وفي الصباح، وفي الظهر و...وقد وفق في هذا أيضًا. لأن رفع التقريرات لحالة الطوارئ لا يخص وقتًا دون وقت.

– وأما بالنسبــة **للزمن النفسي المســـتدير**، فإن الحكيم أخذه بعين الاعتبار، مستخدماً تقنيــة الاســترجاع في مواضــع من روايته، ليكون صدي حزن وألم، تغلغل في أعماقــة، ثم تصاعد منها

[١٧] يوميات نائب في الأرياف ، توفيق الحكيم، ص ١٢.

بصورة زفرات عميقـــــــة. فإن أحداث هذا الزمن النفسي إنما تدور غالباً حول الكوارث التي حلت بالشعب المصري المضطهد.

فمثلاً يسترجع الراوي، عند تحقيق قتل "قمر الدولة"، حالة جريح قد مات بقوله: «وأذكر أني تركت ذات مرة جريحًا يعالج سكرات الموت، وجعلت أصف سرواله وتكته و"**بلغته**" و"**لبدته**". فلما فرغت انحنيت على المصاب أسأله عن المعتدي عليه، فإذا بالمصاب قد توفي> [١٨].

لغة الرواية:

وقد تكون اللغة في الرواية هى أهم ما ينهض عليه بناؤها الفنى، ويقسم الأسلوبيون "الأسلوب" إلى أربعة أنواع تعود إلى التصرف بالضمائر وأزمنة الأفعال هى: الأسلوب المباشر، الأسلوب المندوب، الأسلوب غير المباشر، الأسلوب غير المباشر الحر.

ويمكن تصنيف روايات الحكيم من حيث الأسلوب بالأسلوب غير المباشر الذى يكون فيه الكاتب غير مقحم في الأحداث بل ينتاولها دائماً بضمير الغائب، ويستثنى من هذه الروايات "**يوميات نائب في الأرياف**" اتى رواها الحكيم في أسلوبه المباشر.

فهو يستهل "يوميات نائب في الأرياف" بهذا المقطع: <أويت إلى فراشى البارحة مبكراً فلقد شعرت بالتهاب الحلق، وهو مرض يزورني الآن من حين إلى حين فعصبت على رقبتى خرقة من الصوف وعمرت بقطع من الجبن العتيق مصايد الفيران الثلاث...> [١٩].

وإن استخدام ضمير الغائب وسيلة صالحة، حيث يتوارى وراءها السارد فيمرر ما يشاء من أفكار وأيدلوجيات وتعليمات وتوجيهات وآراء دون أن يبدو تدخله صارخاً ولا مباشراً. ويجنب اصطناع ضمير الغائب الكاتب، السقوط في فخ الأنا، الذى قد يجر إلى سوء فهم العمل السردى.

ولغة الروايات عند الحكيم تتردد بين السردي، الذى يقوم بوصف المشاهد، والأحداث، والحوار الذى يعبر عن أفكر الكاتب.

ويغلب على روايات الحكيم الطابع السردي، رغم أنه رائد المسرح العربى والذى يكثر فيه الحوار. ذلك أن هذه الروايات في مجملها تحليل نفسى وفكرى، وتأملات من كاتبنا، ومن هنا كان انكبابه على ذاته وسرده للأحداث، هو الغالب ليخرج من ثنايا هذا السرد أفكاره وحكمه.

---

[١٨] يوميات نائب في الأرياف ، توفيق الحكيم، ص ١٢٣.

[١٩] المرجع السابق ، ص ٧.

السرد والحوار:

<إن القصة تزاوج بين أسلوبين مختلفين من حيث التركيب أو الأداء أو طريقة التعبير، هما السرد والحوار. ولا يجوز للكاتب مطلقاً أن يستغني بواحد منهما، كما أنه ليست لأي منهما نسبة محددة في الحجم بالقياس إلى الآخر>[٢٠].

<لكن الكاتب لابد أن يزاوج بينهما في إطار متكامل، ليشكلا معا نسيجاً متسقاً، قد تختلف خيوطة الفنية، لكنها تشكل في النهاية نسيجاً واحداً متناغم الألوان، متكامل الوحدات متسق الإيقاع>[٢١].

فانطلاقاً من هذا إن الحكيم في رواية "يوميات نائب في الأرياف" قد حاول في استعراض مختلف العناصر أن يتراوح نشاطة الفني بين استخدام السرد والحوار. وإن الحكيم كان له طريقته الخاصة في **السرد القصصي**، الذي اختاره لروايته، فهو في أسلوبة السردي، سواء كان بالنسبة إلى تصوير الأحداث، أو جوانب الزمان والمكان، أو الملامح الخارجية أو الداخلية للشخصية، قد كرس جهوده على عدة طرائق فنية.

إحداها – وهي أهمها – **طريقة اليوميات**، وهي طريقة استخدم الحكيم فيها أسلوب الراوي المتكلم. وهذا المتكلم هو وكيل النيابة في الريف، وهو يتحد مع كاتب الرواية، أي: كلاهما شخص واحد. ويحتفظ هذا الأسلوب بوجوده إلى نهاية المطاف. **يقول الدكتور طه وادى**:

<فإنها تقدم كلها في شكل يوميات، كتبها وكيل نيابة عاش في الصعيد، وسجل – روائياً – بعض ما شاهده في لوحات جزئية، أو يوميات متفرقة، تصور الحالة البائسة لصعيد مصر، قبل الحرب العالمية الثانية>[٢٢] .

ثم إن الراوى يظهر في معظم المواقف بلبس الراوى التمثيلي، فيقوم بتقديم الشخصيات من خلال تصوير سلوكها وأقوالها وأفعالها، بعيداً عن التوغل في أذهانها، وإبداء مشاعرها وأفكارها. اللهم إلا في مواضع قليلة، منها أنه يتوغل في ذهن الفتاة "ريم" قائلا:

---

[٢٠] يوميات نائب في الأرياف ، توفيق الحكيم، ص ٣٩.

[٢١] المرجع السابق ، ص ٤٧.

[٢٢] السابق ، ص ٤٣.

<وهذه الفتاة فيما يخيل إلى، ذات نفس، كدغل "البوص والقصب"، لا يصل إلى قاعها من

الضوء، غير قطع كالدنانير، تتراقص في ظلام القاع، كلما تمايل القصب....>[٢٣].

أجل، إن عدم اهتمام الراوي بالتوغل في أذهان الشخصيات، إنما كان تجاوباً مع رسالة الرواية، حيث يحاول الكاتب أن تكون روايته تصويراً للواقع المشاهد المرير للمجتمع المصري.

– ومن طريقة السرد القصصي في رواية "يوميات نائب في الأرياف" لجوء الحكيم إلى **كتابة التعليقات على الأحداث**، إثراءً لمواقفه الأدبية على مستوى البناء الفني. وتتمثل هذه التعليقات كثيراً في التساؤلات المثيره للشك والحيرة. وذلك لتوحي بالطابع المكثف من الغموض السائد على الأوضاع الاجتماعية في الريف المصري. فعلي سبيل المثال، يعلق الحكيم علي مخالفة للفتاة "ريم" لزواجها قائلا:

<وذلك الوالي ما غايته من رد الخاطبين والطلاب؟ أهو غلو منه في الحرص على هنائها؟ أهو لا يجد الزوج الكفء؟>[٢٤].

ويعد **الحوار** من أهم عناصر الفن القصصي، وفي الواقع إن الرواية التى ليس فيها الحوار لاتعد رواية، لأنها واقع حياة الناس ولا يمكن أن نتكلم عن حياة الناس ووقائعهم دون الإشاره إلى المحاورات التى تجرى بينهم. ولا شك أن الكاتب لايستطيع أن يكتب رواية كاملة وجيدة دون استخدام الحوار فيها، لأنه من العناصر الرئيسة في كتابة القصة.

وأما بالنسبة لعنصر الحوار في رواية "يوميات نائب في الأرياف"، فإن الحكيم قد وفق في اختيار منطق شخصياته في الحوار. فهو قد **قدم لغة تلائم مستوى كل من شخصياته**. فعلى سبيل المثال نرى أن منطق رجال القضاء، في الحوار الذي يدور في محاكمه الفلاحين، يوحى باحتيالهم للتطبيق الشكلي للقانون على أولئك المضطهدين، دون النظر إلى روح القانون و طبيعة الواقع. ومن جراء ذلك أصبح القانون مجرد رموز جوفاء ونصوص شكلية ، تنفذ على أبناء شعب لم يفهموها، ولم تتقبلها طبيعة حياتهم. فالقاضي، مثلاً ، راح يوجه الخطاب إلي الفلاح، ليأخذ منه الإقرار بالجريمة، التي

[٢٣] يوميات نائب في الأرياف ، توفيق الحكيم، ص ٢٠.

[٢٤] السابق ، ص١٩.

اصطلحوا على أن يسموها جريمة، من غير نظرٍ إلي المصالح. ولم يكن ليهمّ القاضي أن يسبر أغوار الجريمة، ولا أن يتسائل عن علتها، أو يستمع دفاع المتهم.

فينقل الحكيم لنا موقف القاضي من المتهم، بقوله:

<والتفت إلى المتهم ، وهو لم يجتز بعد عتبة باب الجلسة، وصاح فيه:

– ضربت الحرمة؟ كلمة واحدة...قل من عندك!

– يا سعادة البك فيه راجل يضرب حُرمَة!!

– ممنوع الفلسفة. كلمة ورد غطاها. ضربت؟ نعم أو لا؟>[١٢٧]

وإذا دققنا في هذه الرواية نرى أن للحوار دوراً واسعاً، ممايقدم نماذج فنية دلالة على التزام الكاتب بهذا الأسلوب ولكي يبين مكانة هذا العمل القصصى في رواية اليوميات.

– وكما نري في المثال المذكور أن الحوار هام جداً في بناء القصة وحبكتها، لأنه يؤدى إلى تفاقم أزمة الرواية.

– ونلاحظ مستوى **اللغة،** فهى بسيطة وسهلة لمن يقرأها، لأن اللهجة العامية في الحقيقة لغة الناس في كل مكان. وعلى كل حال فإن دور الحوار هام في رواية يوميات نائب في الأرياف، ويتبادل فيه الكلام بين الأشخاص المختلفين من الفئات المختلفة، فتسير الرواية إلى الأمام أو تحلل الشخصيات.

– كما أن الحكيم يلجأ في الحوار إلى **ثنائية الفصحى والعامية،** ويجعل أكثر الخطابات التي كان رجال القانون يوجهونها حين المحاكمة إلى الفلاحين في قالب اللغة الفصحى، ويجعل النصيب الأكثر في سائر المواقف للعامية.

– كما أن **الحكيم يرمز، من خلال اختيار الفصحى للغه القانون،** إلى أنه لم يستشف ذلك القانون من صميم حياة هذا الشعب، كما يرمز، من خلال توظيف العامية إلى أن الشعب ليسوا بمنفصلين عن غريزتهم الريفية. وأيضا إن دوران الحوار في قالب العامية يتمخض عن إشراب النص قدراً من الواقعية، ويحدد لنا، على المستوى الجغرافي، البيئة التي تدور فيها الأحداث.

– وترى **الدكتورة نفوسة زكريا** أن الحكيم كان أجرأ من "هيكل" في استخدم العامية سواء في السرد أم في الحوار، حتى طغت العامية على القصة، إلا جوانب قليلة منها، كتبها بالفصحى، فلغة القصة إذا

أردنا تحديدها على وجه الدقة هى العامية المصرية، ففى السرد أباح لنفسه استخدام الكثير من ألفاظ العامية وعباراتها حتى لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات القصة[٢٥].

النجوى أو المونولوج الداخلى:

النجوى هى صوت داخلى، لا يسمعه إلا صاحبه، ولها دور كبير في الرواية، وفي الحقيقة إن الكاتب يستطيع أن ينقل الكثير من انفعالات الشخصيات ونياتهم وآمالهم إلى القارئ بوسيلة النجوى الداخلية... ويلزم في لغة المناجاة كما في غيرها، الخفة والسهولة والعذوبة.

والمونولوج هو الأداة الأكثر اتساعاً بعد السرد، فكان هو وسيلة الكاتب أن يعود إلى بداية الرواية، أو إلى الأحداث التى جرت قبل حلول الأزمة.

<رأيت أن الطريق الوحيد بعد ذلك أن أبحث عن ذلك الخاطب الذى كان قد تقدم البنت ريم... ولكن كيف نستدل عليه ونحن لا نعرف حتى اسمه؟!... فلنطلب إذن إلى المركز أن يإتى إلينا بأحد الجيران لعله يعرف الخاطب... وليكن الجار امرأة. فإن المرأة بطبعها فضولية ثرثارة... فما من جارة لا تعرف أسماء الخاطبين والمخطوبات في الحارة، ولكن هل أستطيع الآن أكلف المركز بإحضار شاهد أو بالبحث عن مجرم؟>[٢٦].

ففي هذه النجاوى نحن نعرف ما سيفعله الكاتب، وتمضى القصة في مسيرتها إلى الأمام.

– وبالنجاوى أيضاً، **تتكشف مستوى بعض الشخصيات** من حيث عقيدتهم وما لديهم من قوة الملاحظة والتفكر، وتفترق النجاوى الداخلية بين الأشخاص في الرواية متناسباً لعقليتهم ودرجة حضارتهم. وإليك هذه النجوى بلسان وكيل النيابة الذي يبين قوة ملاحظته ومدي تفكره في الحياة:

<غير أنى تأملت قليلاً أمر هذا السائق... ما الذى روعه؟ أهو منظر العظام في ذاتها، أم فكرة الموت الممثلة فيها، أم المصير الآدمى وقد رآه أمامه رأى العين؟ ولماذا لم يعد منظر الجثث أو العظام يؤثر في مثلى وفي مثل الطبيب، يخيل إلى أن هذه الجثث والعظام قد فقدت لدينا فيها من رموز. فهى لا تعدو في نظرنا قطع الأخشاب وعيدان الحطب وقوالب الطين والآجر. إنها أشياء تتداولها أيدينا في عملنا اليومي... [٢٧]

---

[٢٥] تاريخ الدعوة إلى العامية، واثارها فى مصر ، ٢٠٠٦م، ص ٣٩١.

[٢٦] يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، ص ٩١.

[٢٧] المرجع السابق ، ص ٧٨ .

– والملاحظ أن كل هذه النجاوي الموجودة في الرواية تجري على لسان وكيل النيابة فقط . لأنه هو الكاتب وبطل الرواية، وهو يتكلم في الرواية كما ذكرنا سابقا بأن هذه الرواية علي طريقة المذكرات اليومية التي يحكي الكاتب فيها ما حدث له.

الوصف:

-- الوصف أداة من أدوات الكاتب في بناء القصة، يصور البيئة التي تجري فيها الأحداث، ويرسم شكل الشخصية من الخارج، وبه قد يرسم صورة للنفس، نفس الشخصية من الداخل. ولا بد من الوصف في الرواية لأنه من الوسائل التعبيرية الرئيسة.

ونستطيع أن نستشف هذا الفن القصصي في الرواية، عبر زوايا مختلفة ، ومنها:

– أن الكاتب قد استفاد من الوصف في روايته، عندما أرلد أن يقدّم الشخصيات عن طريق الوصف:

<ويلى "الديباجة" وصف الإصابة، والملابس، والموضع الذى وجد فيه المجنى عليه. وما قصرنا. وأمليت على الكاتب أوصاف ذلك الجرح النارى، الذى رأينا ثقبه المتسع في كتف المصاب. وقد حدث فيما أرى من "حشار" بندقية، أطلقت على بعد غير كبير، فهتكت اللحم وأنزفت الدم.

وقد وصفنا الوجه خير وصف، وهو لرجل قارب الأربعين وسيم قسيم، تلك الوسامة الريفية بما فيها من رجولة وصحة وقوة. ولم يفتنا ذكر وشم العصفور المرسوم في أعلى صدغه، ولا لون شاربه الضارب إلى الصفرة والثياب....." [٢٨].

فهذه العبارة وصف لقمر الدولة علوان المصاب من الناحية الخارجية، في مزارع قصب بعد أن أطلق عليه عيار ناري، ووكيل النيابة قد وصفه لتكميل المحضر وصفاً دقيقاً مع ذكر التفاصيل.

ونرى في موضع آخر في الرواية أن توفيق الحكيم قد استفاد من هذا الفن، لتوصيف البيئة خلال الرواية[٢٩].

فيقول الحكيم يصف دار العمدة في الريف:

---

[٢٨] يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، ص ١٢.

[٢٩] المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

<وجلسنا في "**المنظرة**" على فرش من قطيفة ذهب وبرها ولونها، ووضع الكاتب أوراقه على خوان أعرج، تعلوه رخامة مكسورة، ونشر المحضر"**تحت**" مصباح كبير له دوى وطنين قد جمع حوله هوام الليل، وصحت أطلب الشهود.فصاح المأمور لصياحى:

– إجمع الشهود يا حضرة المعاون.

وارتمى على مقعد رحب، في ركن الحجرة ارتماءة أدركت معها أن ليس بعدها غير نعاس غطيط، وجلس مساعدى على مقربة منى يرمق ما يجرى بعيون فاترة، تنم عن كسل بدأ يداعبها مداعبة النسيم الأوراق...>[٣٠].

ويبدو **توفيق الحكيم** في اليوميات أديباً ذا ملكة مصورة، وذوق حساس دقيق، يلتقط من الحياة اليومية، وخاصة حياة المؤلف وتجاربه الخاصة ما يبرز فكرته ويعرضها بألوانه وخطوطه، وقد تبدو خطوطه مبالغًا فيها أو كاريكاتورية أحيانًا، ولكن طبيعة الحكيم التي فُطرت على الفكاهة الهادئة أحيانًا والصاخبة إلى حد التهريج أحيانًا، تحكمه وتوجه تلك الألوان والخطوط.

وتتناثر هنا وهناك **أحوال الريف والحياة الفلاحون في الرواية** . ومن ذلك :

<وذهبنا إلى "**دوار**" العمدة حيث كانت في انتظارنا القهوة. وآه من قهوة "**العمدة!**" لإنى أسميها دائما "**الكلوروفورم**" فما من مرة إلا أحدثت عندى عكس المقصود من شربها! ولست أدرى العلة، غير أنى سمعت ذات ليلة عمدة من هؤلاء العمد يصيح في تابعه أمامنا. "**هات ياولد قهوة بن**"، ولم أفهم وقتذاك معنى لإضافة لفظ "**البن**" إلى "**القهوة**"؟ أترى النص على البن "**صراحة**" جاء من قبيل التأكيد، أم على سبيل التشريف والتكريم؟ لست أعلم. إنما الذي علمته يومئذ واستوثقت منه أن هذا "**اللفظ**" الأخير وإن دخل في تركيب الجملة. لم يدخل في تركيب القهوة.

أما لغة الوصف في هذه الرواية، فهي لغة سهلة واضحة، بذلك تجمع بين السهولة والبساطة، بما يناسب الأحداث والشخصيات.

التشبيه:

الصورة = التشبيه + الإستعارة. وهما يقومان بتلوين العمل الأدبى وتمثيله.

وقد ميّز الأسلوبيون العرب بين طرفى الصورة: التشبيه والإستعارة، وتناول علماء العربية درس كل منهما على حدة، مبينين أقسامهما، والخيط الرفيع الذى يفصل بينهما.

---

[٣٠] يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، ص ١٠٢ .

فالصورة عند القدماء ليست إلا انتقالاً من مدرك بالعقل إلى مدرك بالحس، أو هى تجسيد للمعنى بصورة حسية. يقول عبد القاهر الجرجانى <وإذا نقلتهما (أى الحواس فى الشىء) بمثله عن المدرك بالعقل المحض إلى المدرك بالحواس، فأنت كمن يتوسل إلى الغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم>[٣١].

فالتشبيه كما يقول يحيى حقى: <هو أبين ضروب البلاغة عن مزاج الماديات والمعنويات، فى قبضة واحدة ويقرب البعيد ويبعد القريب، ويقرب المتناقضات فإذا هى تتشابه، ويفصل بين المتشابهات فإذا هى متناقضة وهو مركب، سخريته وفكاهته وعجبه ووسيلة كشفه لمفارقات الحياة وعوالم النفس>[٣٢].

وأدوات التشبيه التى نص عليها البلاغيون، هى الكاف – كأن – مثل. و"**كأن**" مضافا إليها "**ما**". وهذه الأداة الأخيرة يكثر ترددها عند توفيق الحكيم.

وفي الرواية "**يوميات نائب في الأرياف**"، استخدم الكاتب "**الكاف**" ١٧ مرة، و"**كأن**" ٢٥ مرات، و"**كما**" ٩ مرات، وكأنما ٣ مرات. وكما نلاحظ أن "كأن" كانت أكثر أستخداماً لتوفيق الحكيم.

فمن الصور التشبيهية: <فجأة نهض المأمور من مكانه كأنما قد تذكر مفتاح السر>[٣٣].

– أما أداة التشبيه " **الكاف**" فيليها دائماً اسم ظاهر نحو: <إذا رأيت هذا الفتى عائداً كالزهرة المشرقة>[٣٤]. على خلاف "**كأن**" الذى يليها اسم أو ضمير نحو: <ولمحت يداً ترتفع بالتحية فوق اللبدة الطويلة ذات الرقعة النحاسية، وفما يتحرك تحت شارت أسود كبير كأنه ذنت القط>[٣٥]وأداة البشبيه "**كما**" <وأنعشنى قليلا مرأى الفتاة كما ينتعش العشب الذابل بقطرات الندى>[٣٦].

التكرار:

– إن التكرار يقوم بعملية ربط لغوية أساسية لرواياته، كما أنه يركز بذلك على موتيفات تكرارية لغوية، ويقصد منها الكاتب توليد الدلالات المتجددة في مواقف مغايرة ثابتة، كما أنه يستطيع بذلك أن يكون له أسلوب فني متمايز يدل على ملامحه.

---

[٣١] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٩٣.

[٣٢] خطوات فى النقد ، يحيى حقي، ٢٠٠٨م، ص ٧٦.

[٣٣] يوميات نائب فى الأرياف ، توفيق الحكيم، ص١٥.

[٣٤] المرجع السابق ، ص١٠٨.

[٣٥] السابق ، ص٦٣ .

[٣٦] السابق ، ص٣٣.

أولاً – تكرار المفردات:

والمفردات التى تتردد عند الحكيم، ويمكن وصفها بالمفاتيح أو المؤشرات، هى ألفاظ : " **قليلاً** " ، " **لعل**"، "**على الفور**" .

وتأتى بدرجة أقل شيوعاً ألفاظ مثل: "**تواً**" و"**ملياً**".

واستخدم تكرار المفردات في الرواية ، " **قليلاً** " ٢٦ مرات ، "ولعل" ٧مرات، و"**على الفور**" مرة.

ثانياً – تكرار العبارت، والسمة الأسلوبية:

فنلاحظ عند توفيق الحكيم تكرار بعض الجمل والعبارات، على نحو يجعل منها بحق سمة أو بصمة أسلوبية. وتميز هذه العبارات كتاباته وأسلوبه عن غيره، خاصة بين معاصريه، وربما استعان بهذه اللازمات والتراكيب من جاء بعده.

وأول هذه الأساليب **أسلوب التشبيه** (كأنما يخاطب نفسه) فهذه العبارة كثيراً مايصف بها أبطال رواياته، حتى تشعر كأنهم جميعاً يخاطبون أنفسهم من حين إلى آخر، وليس غريباً أن يخاطب الإنسان نفسه، ويناجيها ويخلو إليها، ولكن الغريب أن يجعل الحكيم معظم أبطال رواياته في حوار مع أنفسهم، أثناء عملية الحوار .

وفي هذا يستعين بعدة تعبيرات قريبة المعنى، كأن يعبر عن ذلك بمثل :"كالمخاطب لنفسه – يقول في نفسه – فهمس في نفسه – فردد في نفسه – وكأنه يخاطب نفسه".

وأشهر اللازمات أو التراكيب تتمثل في استعانته **بأفعال الشروع** في كثير من الجمل والتعبيرات، حتى أصبحت كأنها عبارات مصكوكة تمثل قوة تعبيرية.

وأشهر أفعال الشروع "جعل"(٢١مرة" في الرواية، و"**طفق**" (مرتان)، و"أخذ"(مرة).

ولانلمس ذلك الفتور من تكرار الحكيم لبعض الكلمات، بل لعل هذا التكرار قد أحدث نوعاً من الارتباط الذهنى بين القارئ والكاتب، وكأن هذه المفردات التى تتردد أشبه بالإيقاع، أو أشبه بالوقفات، التى يلتقى عندها القارئ مع كاتبه.

الخاتمة

– هذه الرواية "يوميات نائب في الأرياف" سجلها المؤلف من خلال تجربتة الحية، والمباشرة من عمله نائباً في الريف المصرى في فترة من حياته. وتضمنت العناصر الواقعية فيها.وينقد توفيق الحكيم في هذه الرواية المظاهر الإجتماعية في الريف المصرى، ويكتب عن ذلك في صورة يوميات.وتصف هذه الرواية التخلف والانحطاط والجهل، وعبر الكاتب عن الملامح الاجتماعية السيئة في حياته فى الريف المصري . وقد صاغ الكاتب كثيرًا من الشخصيات، من واقع الحياة في الريف المصري. وكان المكان الذي تدور فيه الأحداث هو الريف المصري، كما اتخذ زمان سير الأحداث متواصلاً في إثنى عشر يومًا، كأنها تشير إلى شهور السنة. أما أدوات التشبيه، فنلاحظ أن "كأن" كانت أكثر استخداماً لتوفيق الحكيم في روايته. وكان يكرر كلمة " قليلاً " فى حالات كثيرة في هذه الرواية. والأسلوب في معظم رواية توفيق الحكيم هو الأسلوب غير المباشر، الذى يتناول فيه الكاتب دائما ضمير الغائب. وكان توفيق الحكيم يلجأ في الحوار إلى ثنائية الفصحى والعامية، فيجعل الفصحى في الخطابات التي كان رجال القانون يوجهونها في المحاكمة. أما الحوار فقد كان بالعامية تحقيقًا للواقعية، وللبيئة الثقافية التي تدور فيها الأحداث.

المراجع

١) إبراهيم عبد العزيز أيام العمر: رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم، الهيئة المصرية العامة الكتاب، ٢٠٠٣.

٢) أحمد أبو حاقة، المفيد في الأدب العربى، ٢٠٠٠.

٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، توفيق الحكيم – أفكاره وأثاره، مكتبة الآداب، ١٩٥٢.

٤) إسماعيل أحمد إبراهيم، أدباء معاصرون، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥.

٥) إسماعيل أدهم في كتابه عن توفيق الحكيم، ١٩٤٥.

٦) جمال ميرصادقي، عناصر داستان، ط٥، ٢٠٠٦.

٧) رجاء عيد، قراءة في أدب توفيق الحكيم، منشأة المعارف، ط٢، ٢٠٠٠.

٨) روجر آلن، الرواية العربية: دراسة تاريخية ونقدية القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨.

٩) سعيد يقطين، انفتاح النص الروئى، المركز الثقافى العربى، ١٩٨٩.

١٠) صفحات من التاريخ الأدبى لتوفيق الحكيم من واقع رسائل وثائق، دار المعارف، ١٩٧٥.

١١) صلاح الصبور، ماذا يبقى منهم التاريخ -- : دراسات في أدب طه حسين، توفيق الحكيم، عباس العقاد، ابراهيم المازنى، الهيئة المصرية العامة الكتاب، ٢٠٠٥.

١٢) صلاح طاهر، أحاديث مع توفيق الحكيم من سنة ١٩٥١ – ١٩٧١، مطابع الأهرام، ١٩٧١.

١٣) طه حسين، من أدبنا المعاصر، دار الآداب، ط٢، ١٩٦٦.

١٤) طه وادى، دراسات في نقد الرواية المعاصرة، دار المعارف، ١٩٩٤.

١٥) على الراعى، بوفيق الحكيم فنان الفرجة وفنان الفكر، كتاب الهلال، ١٩٦٩.

١٦) غالى شكرى، توفيق الحكيم: الجيل والطبقة والرؤيا، دار الفارابى، ١٩٩٣.

١٧) فتحى الأبياري، عشرة آلاف خطوة مع الحكيم، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧.
١٨) فؤاد دوارة، عشرة أدباء يتحدثون، كتب الهلال، ١٩٦٥.
١٩) لويس عوض، دراسات في النقد والأدب – المكتب التجارى للطباعة والنشر – بيروت – ط١، ١٩٦٣.
٢٠) محمد تيمور، اتجاهات الأدب العربى في السنين المائة الأخيرة، مكتبة الآداب، ١٩٧٠.
٢١) محمد جبريل، مصر المكان: دراسة في القصة والرواية، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠.
٢٢) محمد حسن عبد الله، الحكيم وحوار المرايا، دار قباء، ٢٠٠٠.
٢٣) محمد رجب النجار، توفيق الحكيم والأدب الشعبي: أنماط من التناص الفولكلورى، عين للدراسات والبحوث الاتساقية والاجتماعية، ٢٠٠١.
٢٤) ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، مكتبة الفكر الجامعى، بيروت، ١٩٧١.
٢٥) نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية، واثارها فى مصر،٢٠٠٦.
٢٦) يحيى حقى، خطوات في النقد، ٢٠٠٨م.